البلاغية وأثارها الدلالية في مراتب أسلوب التشبيه: (دراسة تحليليّة)

Rhetorical Aspects and Their Semantic Implications across the Levels of Simile: An Analytical Study"

م.م. أسيل سعيد شويب محمد Assist. Lect. Aseel Saeed Shwayeb Mohammed

aselsaeed1980@gmail.com

المديرية العامة لتربية بابل / لغة القرآن

The General Directorate of Education in Babylon / The Language of the " "Qur'an

ملخص البحث

إنَّ التراتبية في أسلوب التشبيه ليست ترفاً لفظياً، بل هي هندسةٌ دلالية محكمة؛ تبدأ من رتبة 'الإيضاح' فالأدواتُ قناديلُ تُضيء مسالك المشابهة، وتتصاعدُ حتى تبلغ ذروة 'الإدماج' في التشبيه البليغ، إذ تتوارى الأدواتُ خجلاً أمام سطوع الهوية ففي المراتب الدنيا، نحن أمام 'حكايةِ مُمثلة'، وفي المراتب العليا، نحن أمام 'وحدةِ كينونة'؛ فكلما ضاقت العبارةُ بالحذف، اتسعَ المعنى بالتأويل، ليتحول التشبيهُ من 'وصفٍ عارض' إلى 'حقيقةٍ جاثمة'، تُصهرُ فيها الفوارقُ لتنبثقَ من رَحِمِ الإيجاز طاقةُ الإعجاز."

ترتكز هذه الدراسة حول استجلاء الخصائص البلاغية الكامنة في مراتب أسلوب التشبيه، مع رصد دقيق لآثارها الدلالية المتغيرة بتغير تلك المراتب، وتنطلق الإشكالية من تساؤل مركزي مفاده: كيف يؤثر تفاوت البناء التركيبي للتشبيه (من ذكر للأداة والوجه أو حذفهما) في توجيه المعنى وتوسيع رقعة التأويل.

أما المنهج المتبع، اعتمد البحث (المنهج التحليلي) الذي يقوم على تفكيك الصور التشبيهية في مظانها (النماذج العليا في القرآن الكريم والعيون المختارة من الشعر العربي)، ومقاربة العلاقة بين "الرتبة الأسلوبية" وبين "القيمة الدلالية" الناتجة عنها، مستعيناً بمكتنزات التراث البلاغي وأدوات التحليل الدلالي الحديثة التي تُعنى بسياق النص ونفسية المتكلم إذ يتحول القارئ من "متلقٍ سلبي" إلى "مشاركٍ في بناء الصورة" من خلال استنباط وجوه الشبه المحذوفة.

تأسيسًا على ذلك توارد في الخاطر اختيار هذا العنوان: البلاغية وأثارها الدلالية في مراتب أسلوب التشبيه: (دراسة تحليليّة).

أذ انبرى البحث لتبيانِ (مراتب أسلوب التشبيه) وما لهمَا من أثرٍ فاعل في المتلقي للمعنى بتغير هذه المرتبة، وقد جاء هذا البحث في مقدّمةٍ وتَمْهيدٍ وثلاث مباحث، انْعَقَد التَّمهيدُ بعنوان: (أركان التشبيه كمعايير للترتيب). وَجاءَ المبحث الأوَّلُ بعنوانِ: (المراتب القائمة على "أداة التشبيه" وأثرها الدلالي). وحَضَر

المبحث الثاني بعنوانِ: (المراتب القائمة على "وجه الشبه" وتحولات المعنى). وعقدنا المبحث الثالث بعنوانِ : ذروة التراتبية (التشبيه البليغ) والاتساع الدلالي.

ثم ختمنا بحثنا بما توصلنا له من نتائج التي يكون مأُلها في نهاية البحث.

الكلمات المفتاحية:

(التشبيه المرسل، التشبيه البليغ، أداة التشبيه، التشبيه المؤكد، الاتساع الدلالي)

Keywords:

(Explicit simile, concise simile, simile tool, emphatic simile, semantic breadth)

Summary

This study focuses on elucidating the rhetorical characteristics inherent in the levels of the simile style, with careful observation of its changing semantic effects with the change in those levels. The problem stems from a central question: How does the variation in the structural construction of the simile (in terms of mentioning the tool and the aspect or omitting them) affect the direction of meaning and the expansion of the scope of interpretation The methodology employed: The research adopted the analytical approach, which is based on deconstructing the figurative language in its original context (the supreme examples in the Holy Quran and selected works of Arabic poetry), and examining the relationship between "stylistic order" and the resulting "semantic value," drawing upon the rich resources of rhetorical heritage and modern semantic analysis tools concerned with context The text and the speaker's psychology transform the reader from a passive recipient to an active participant in constructing the image by deducing the implied similarities Based on this, the following title came to mind: Rhetoric and its Semantic Effects on the Levels of Simile: (An Analytical Study)

المقدمة

تعدُّ بلاغة العرب فنًا قائمًا على الملاءمة بين اللفظ والمعنى، ومن أوسع أبوابها "التشبيه" الذي لم يكن مجرد وسيلة للإيضاح، بل هو أداة هندسية لبناء المعنى، فالتشبيه ظاهرة أسلوبية من أساليب التعبير الرفيع في الكلام.

إذ أجمعت الدراسات البلاغية والنقدية التي اتخذت من التشبيه مادةً لها، على جودةِ مَوْقعه في نسيجِ التأليف البياني، ومدى تمسك الشعراء العرب بهذا الفن؛ إذ إنَّ المتصفح لمدوناتهم الشعرية يألفاها (تزخر بالتشبيهات)[1] التي تنهض بوصفها أداةً محورية من أدوات التصوير الفني وهذا التصوير الذي لا يقف عند حدود الوصف الظاهري، بل يتجاوزه ليكون نتاجاً لامتزاجٍ عميق بين حقيقة الصورة وسعة الخيال، واقترانٍ وثيق بين جوهر الفكر وبنية الشكل الجمالي، مما يمنح النص أبعاداً دلاليةً متراكبة تعزز من رتبته الإبداعية.

تأسيسًا على ذلك جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على (الأثار الدلالية في مراتب أسلوب التشبيه)، لبيان التفاوتات في القوة والبيان التي تنشأ من ذكر أو حذف أركان التشبيه، إذ تكمن مشكلة البحث في تتبع الأثر الدلالي الذي يتركه الانتقال من مرتبة (التشبيه المرسل) وصولاً إلى ذروة الهرم (التشبيه البليغ)، وكيف يتغير إدراك المتلقي للمعنى بتغير هذه المرتبة، ويهدف البحث إلى فض الاشتباك بين الترتيب الشكلي والأبعاد النفسية والدلالية الكامنة وراء الاختيار البلاغي.

تأسيسًا على ذلك انبرى البحث لتبيانِ (مراتب أسلوب التشبيه) وما لهمَا من أثرٍ فاعل في المتلقي للمعنى بتغير هذه المرتبة، وقد جاء هذا البحث في مقدّمةٍ وتَمْهيدٍ وثلاث مباحث، انْعَقَد التَّمهيدُ بعنوان: (أركان التشبيه كمعايير للترتيب). وَجاءَ المبحث الأوَّلُ بعنوانِ: (المراتب القائمة على "أداة التشبيه" وأثرها الدلالي) وحَضَر في مطلبينِ، الأول: التشبيه المرسل. وجاء المطلب الثاني: التشبيه المؤكد. وحَضَر المبحث الثاني بعنوانِ: (المراتب القائمة على "وجه الشبه" وتحولات المعنى). وعقدناه على مطلبين، جاء المطلب الأول: التشبيه المفصل: دلالة التحديد وحصر المعنى في زاوية معينة. ووسم المطلب الثاني: التشبيه المجمل: دلالة الإطلاق وفتح آفاق التأويل لدى المتلقي. وحَضَر المبحث الثالث بعنوانِ: ذروة التراتبية (التشبيه البليغ) والاتساع الدلالي. وجاء بمطلبينِ، الأول: التشبيه البليغ (المؤكد المجمل): فلسفة التوحيد بين المشبه والمشبه به. واستقل الثاني بعنوانِ: تحليل نماذج تطبيقية (قرآنية وشعرية) توضح تفاوت الأثر الدلالي بتغير المرتبة.

ثم خَتَمْنا البَحْثَ بمجموعةٍ من النَّتائجِ التي يكونُ مآلُها في نهايةِ البحث.

والحمْدُ للهِ ربِّ العَالمينَ وصلَّى الله على محمدٍ وآلهِ الطاهرينَ وعَلى صَحْبهِ المنتجبينَ

التمهيد: أركان التشبيه كمعايير للترتيب

النظر في أركان التشبيه، وهي أربعة: " المشبه والمشبه به ، ويسميان طرفي التشبيه ، ووجهه، وأداته"[2] والذي يعنينا من تلك الأركان هي (أدواته) وهي اللفظ الذي يربط بين الطرفين، ويدل على التشبيه.

يُعدُّ التشبيهُ فَنَّاً بيانيّاً رفيعاً، ينهضُ على دقةِ الملاحظة واستقصاءِ وجوهِ المشابهةِ والمناظرةِ بين الأشياء، سواء أكانت تلك الأشباهُ أعياناً ماديةً تدركُها الحواسُّ، أم معانيَ مجردةً تسبحُ في فضاءِ الفكر المحض. فالأديبُ اللَّماعُ هو مَن ينتزعُ خيوطَ الائتلافِ من بين ثنايا الاختلاف، محققاً المطابقةَ أو التقاربَ بين حقائقَ

قد لا تجمعُها الظواهرُ، لكنها تلتقي في مَخابرِ الأذهان؛ ليصوغَ من ذلك الائتلافِ عباراتٍ تشبيهيةً تأخذُ بالألباب.

وتتجلى القيمةُ الجماليةُ والتراتبيةُ في هذا الفن حين يَعمدُ الذوقُ الأدبيُّ إلى إلحاقِ (ذي الصفةِ الخفيّة) بـ (ذي الصفةِ الجليّة)، أو رَبطِ (الجليّ) بما هو (أجلى) منه، ورَفْعِ (الأدنى والضعيف) إلى مَصافِّ (الأعلى والأقوى)؛ طلباً لبيانِ كنهِ الصفةِ أو نوعِها. وغايةُ ذلك التشبيهِ لا تقفُ عند حدودِ الزينةِ اللفظية، بل تتجاوزُها لتحقيقِ أغراضٍ بيانيةٍ وفكريةٍ وجماليةٍ متضافرة.

إنَّ نزوعَ الأنفسِ نحو المحاكاةِ والتشبيهِ فِطرةٌ إنسانيةٌ أصيلة، استدعتْها ضيقةُ العباراتِ المباشرةِ وقصورُ الدلالاتِ الحرفيةِ عن الإحاطةِ بتمامِ المقاصد؛ لذا لم تخلُ منه لغةٌ من لغاتِ الأمم، ولم يستغنِ عنه لسانٌ، فصيحاً كان أم عامياً.[3]

وفي هذا السياق، يذهبُ "أبو هلال العسكري" إلى أنَّ التشبيهَ "يزيدُ المعنَى وُضوحاً، ويُكْسِبُه تأكيداً، ولهذا أطبقَ جميعُ المتكلمين من العربِ والعجمِ عليه، ولم يستغنِ أحدٌ عنه"[4]. فالوجودُ في أصلِ خِلقته قائمٌ على الأشباهِ والنظائرِ التي أودعَها الخالقُ في بدائعِ صُنعه، مما يفتحُ أمامَ الملاحظةِ الذكيّةِ آفاقاً لتصيُّدِ وجوهِ الشبهِ المتعددةِ للشيءِ الواحد. ولا يُشترطُ في هذا الفنِّ تماهي الشبيهين من كلِّ وجه، بل يكفي انقداحُ مَلحظٍ تشابهيٍّ يصلحُ لأن يكونَ جسراً دلالياً يحققُ الغرضَ البلاغيَّ المنشود.[5]

المبحث الأول: التراتبية القائمة على "أداة التشبيه" وأثرها الدلالي

التشبيه: يعني الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه، أو بوجه يُنبئ عنه ، تُعد أداة التشبيه الركن الثالث في العملية التشبيهية، وهي الرابط الذي يجمع بين (المشبه) و(المشبه به)، والتراتبية هنا لا تعني مجرد الترتيب المكاني، بل تعني القيمة الدلالية التي تضفيها الأداة على السياق.[6]

لا ينبغي حصر مقاربة التشبيه في كونه نمطاً تصويرياً فحسب، بل يتحتم النظر إليه في ضوء وظائفه الدلالية المتجددة؛ إذ إن الاعتقاد بقصور التشبيه عن رفد الدرس الدلالي بحجة اختصاص علم اللغة بذلك، هو اعتقادٌ يجانب الصواب [7]، ورغم أن التشبيه في بنويته المجردة قد لا يُعد عنصراً دالاً بذاته، إلا أن ، العلاقات التي يكون التشبيه طرفاً فيها، والكيفية التي تتكرر بها أنماطه داخل هذه العلاقات والوظائف التي يؤديها، تعين على توطين المعرفة كلّ بحسب مدلولها وحراكها المعرفي، ونتيجة ذلك كله تُؤسس الدلالة في التشبيه [8]

وعلى هذا، يبرز التشبيه بوصفه رافداً معرفياً ثرياً، يمتلك القدرة على صهر العناصر المتعددة والتوفيق بين التصورات المتباينة؛ مما يسهم في تشكيل حشدٍ من الدلالات التي تمثل الغاية القصوى من إقامة هذه العلائق بين مكوناته[9]

وبناءً عليه، فإن المكنوز الدلالي في البنية التشبيهية يتفاوت بتفاوت مراتبه وشبكة ألفاظه؛ فإذا كانت (الكلمة هي إحدى الوحدات الأساسية لعلم الدلالة) [10]، فإن التلاؤم التشبيهي والسياقي بين هذه الكلمات هو الكفيل بتوليد اتساع دلالي يحرر المفردة من ضيق المعجم إلى رحابة التأويل.

المطلب الأول: التشبيه المرسل.

يُعدُّ التشبيه المرسل المرتبة الأولى في سلم التراتبية البلاغية؛ نظراً للتصريح بـ "أداة التشبيه" (الكاف، كأن، مثل). من الناحية الدلالية، تعمل الأداة كحاجز لغوي يمنع ذوبان المشبه في المشبه به، مما يُبقي المتلقي في دائرة "المقارنة" لا "الاتحاد" .[11]

: "إن ذكر الأداة يُشعر بضعف المبالغة؛ لأنها تفرّق بين الطرفين وتجعل المشبه في مرتبة دون المشبه به"[12] . والمرسل ما ذُكرت أداته لا يأتي التشبيه المرسل على رتبة واحدة، بل تتفاوت دلالته بتفاوت الأداة المستخدمة فيه، المرسل بالحرف (الكاف): وهو النوع الأكثر شيوعاً، وتكون الأداة فيه تابعة للمشبه به (زيد كالبحر)، وتفيد هذه الرتبة إلحاق الناقص بالكامل في صفة مشتركة مع بقاء التمايز بين الذاتين [13]؛ كقوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} (البقرة : 17) ؛ وقوله عز وجل: { وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} (الحديد :21) ، وقوله تعالى : {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} (الرحمن: 24). هنا تشبيه مرسل ذكرت فيه الكاف، لإظهار عظمة السفن مع بقاء الفارق الجوهري بينها وبين الجبال (الأعلام)، فالإرسال هنا يحقق الدقة الوصفية. و المرسل بالحرف (كأن): وهي أداة تفيد التشبيه مع معنى الظن أو اليقين بحسب السياق، وتمتاز بتراتبية خاصة إذ تتصدر الجملة وتدخل على المشبه (كأنك شمس)، مما يجعل الإرسال هنا أقوى وقعاً في النفس وأقرب إلى التحقيق .[14]

ومن من الشعر العربي: قول النابغة الذبياني

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذي هُوَ مُدْرِكي ... وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ المُنْتأى عَنْكَ واسِعُ

فذكر الأداة (الكاف) هنا جعل التشبيه مرسلاً، مما أضفى طابع الحتمية والقدرية على الصورة، فالليل يحيط بكل شيء، والكاف رسمت حدود هذه الإحاطة بدقة.

اما التشبيه المرسل بـ (كأنّ) و (مثل) يُعد التشبيه المرسل بذكر هذه الأدوات مرتبة وسطى بين "الكاف" (التي تفيد مطلق التشبيه) وبين "الحذف" (الذي يفيد الاتحاد). ولكن (كأن) و(مثل) تمنحان السياق أبعاداً دلالية مغايرة تماماً.

إذ تتميز (كأنّ) عن غيرها بأنها أداة "مركبة" (الكاف + أنَّ المشبهة بالفعل)، وهذا التركيب يمنحها رتبة التأكيد ، ففي الترتيب اللفظي، تتصدر (كأنّ) الجملة، مما يجعل السامع يستحضر صورة "المشبه به" قبل إتمام الخبر، كما لها قوة التشبيه: يرى الإمام الجرجاني أن (كأنّ) إذا دخلت على اسم جامد أفادت التشبيه القريب من اليقين ، مثاله قوله تعالى: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} (الرحمن: 58) ، ذِكر الأداة هنا (إرسال) جعل الصورة متمكنة في الذهن، وتصدرها جعل صفات الياقوت والمرجان تسبق رؤية "المشبه" (الحور)، مما رفع من رتبة الحسن والجمال.[15]

أما رتبة التشبيه المرسل بـ (مثل) تنتقل بالتشبيه من حيز "الحرفية" إلى حيز "الاسمية". والاسم أدل على الذات من الحرف، لذا فإن التشبيه بـ (مثل) يقتضي المساواة في الماهية أو في أغلب الصفات، كشعورك بوجود قدر مشترك كبير بين الطرفين، فهي أقوى من (الكاف) في إثبات الصفة للمشبه.، إذ تُستخدم (مثل) غالباً لتقريب المعاني العقلية بصور حسية ملموسة، مثاله قوله تعالى: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} (النور: 35). هنا ليس مجرد أداة، بل هو "عنوان" لقصة تشبيهية كاملة. الإرسال بكلمة (مثل) رفع رتبة التشبيه من مجرد مقارنة بسيطة إلى "تمثيل" حي يتطابق فيه المعنى مع الصور.[16]

المطلب الثاني: التشبيه المؤكد (حذف الأداة) ودلالة القرب.

يُعدُّ التشبيه المؤكد من الأساليب البيانية التي تكتسب قوة بلاغية من خلال الاقتصاد اللفظي، وهو التشبيه الذي حُذفت منه الأداة إذ عند حذفها ، ننتقل إلى مرتبة بلاغية أعلى، حيث يزول الحواجز اللفظي بين الطرفين[17]، وقد اصطلح (النويري)على تسميته بـ "تشبيه الكناية"، موضحاً أن كنه هذه الصفة يكمن في ((وهو أن يشبّه شيئا بشئ من غير أداة التشبيه[18])، إذ يوحي حذف الأداة بشدة القرب ونفي المغايرة، وكأن الصفة متأصلة في المشبه لا مستعارة ، كما إن حذف الأداة أبلغ؛ لأنه يرفع واسطة التشبيه، فيصير المشبه كأنه هو المشبه به نفسه [19]، لذلك أَهملَ الأَداة التي تدلُّ على أَنَّ المشبَّه أَضعفُ في وجه الشبه من المشبَّه به، وأَهملَ ذكرَ وجه الشبه الذي ينمُ عن اشتراك الطرفين في صفة أو صفاتٍ دون غيرها. ويسمَّى هذا النوع بالتشبيه البليغ، وهو مظهرٌ من مظاهر البلاغة وميدان فسيحٌ لتسابق المجيدين من الشعراء والكتاب.[20]قال تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} (النمل: 88) أن الجبال يوم القيامة بعد النفخة الأولى تسير في الهواء كالسحاب تسوقه الرياح، فهو تشبيه مؤكد تركت فيه الأداة، وتنوسي

تقديرها ليكون المعنى: إن مرور الجبال يوم القيامة هو مرور السحاب بعينه، وهذا المعنى هو ما ينبغي أن يفهم تصويرا للحالة التي ستكون؛ تقدير الآية أي: تمر مرًا كمر السحاب، جملة التشبيه المبنية على حذف الأداة[21]

وتتجلى القيمة الفنية للتشبيه المؤكد في كون العلاقة الدلالية بين مفرداته أوسع مدىً مما هي عليه في "التشبيه المرسل"؛ وذلك لما يمنحه حذف الأداة من قوة في الكشف، وتحررٍ من قيود التحديد التي تفرضها الأداة، مما يجعله في المرتبة الثانية من حيث الأهمية البلاغية (بعد التشبيه البليغ)، لكون الحذف قد طال الأداة دون وجه الشبه.[22]

تتعدد الصور التركيبية التي يبرز من خلالها التشبيه المؤكد، ومنها إضافة المشبه إلى المشبه به، كما في قوله تعالى :{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}(الكهف :29) إذ شُبهت النار المحيطة بالسرادق المضروب، ثم أُضيف السرادق إلى النار[23]

وايضًا كقول الشاعر:

والريحُ تعبثُ بالغصونِ وقد جرى ... ذهبُ الأصيلِ على لجينِ الماءِ

فقد أضاف "الأصيل" (حمرة الشمس) وهو المشبه، إلى "الذهب" وهو المشبه به، وكذلك أضاف "الماء" وهو المشبه إلى "اللجين" (الفضة) وهو المشبه به. ويجدر بالذكر أنه لو أُريد بالأصيل "الزمان" لخرج الكلام من حيز التشبيه إلى "الاستعارة"، حيث يستعير الشاعر لفظ الذهب ليعبر عن لون الشفق في ذلك الوقت.[24]

نخلص إلى أن التشبيه المؤكد يتفوق دلالياً على التشبيه المرسل؛ لأن حذف الأداة يوحي باندماج الطرفين وشدة المشابهة بينهما، محققاً أغراضاً فنية عليا، كالإيجاز، وتكثيف التجربة البلاغية، وإحداث أثر نفسي عميق لدى المتلقي عبر تضييق المسافة بين صورة المشبه وصورة المشبه به.

المبحث الثاني: الترتيب القائم على "وجه الشبه" وتحولات المعنى.

عدُّ "وجه الشبه" المرتكز الدلالي الأهم في البنية التشبيهية، فهو الخيط الرابط الذي يحكم علاقة التماثل بين الطرفين، وبناءً عليه تتشكل مستويات التوصيل البياني. إنَّ الترتيب القائم على هذا الوجه ليس مجرد إجراءٍ شكلي، بل هو عملية ذهنية معقدة تتحكم في "تحولات المعنى"؛ فذكرُه صراحةً (التشبيه المفصل) يقود إلى "التقييد الذهني" وحصر الدلالة في زاوية محددة تخدم المقامات التعليمية واليقينية، بينما يؤدي حذفه (التشبيه المجمل) إلى "انفتاح دلالي" يمنح الخيال فرصة التأويل واستقصاء وجوه الاشتراك الخفية.

وبذلك، يتحول وجه الشبه من عنصر لغوي ساكن إلى "متغير أسلوبي" يعيد صياغة الصورة الذهنية وفقاً لمقتضى الحال، مما يجعله المتحكم الرئيس في رتبة البيان وقوة التأثير النفسي في المتلقي. (25)

المطلب الأول: التشبيه المفصل ودلالة التقييد الذهني

إنَّ التصريح بوجه الشبه في البنية التشبيهية يعمدُ إلى حصر المعنى في زاوية دلالية محددة؛ مما يقلص من فضاءات التأويل واتساع الرؤية البيانية، إذ يعمل ذكر الوجه على توجيه الذهن نحو غرضٍ بعينه دون غيره، إذ يتجلى الأثر الدلالي لهذا النوع في سياقات البيان والتعليم، حيث تقتضي الحالة المقامية تحديد الصفة المشتركة بدقة متناهية لنفي اللبس وتحقيق الإبانة، وفي هذا المعنى يقرر السكاكي أنَّ: "التفصيل يقطع دابر الاحتمال، ويحصر الذهن في جهة واحدة من جهات الشبه"(26)

وهنا نقف عند قوله تعالى: } اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ { (النور 35). فقد يبدو للنظرة العجلى أن المشبه وهو نور الله أقوى من مصباح هذه المشكاة، ولكن نظرة إلى الآية الكريمة ترى أن النور المراد هنا هو النور الذى يغمر القلب، ويشرق على الضمير، فيهدى إلى سواء السبيل وإذا تأملت الآية الكريمة رأيتها قد مضت تصف ضوء هذا المصباح وتتأنق في وصفه، بما يصور لك قوته وصفاءه، فهذا المصباح له زجاجة تكسب ضوءه قوة، تجعله يتلألأ كأنه كوكب له بريق الدر ولمعانه، أما زيت هذا المصباح فمن شجرة مباركة قد أخذت من الشمس بأوفى نصيب، فصفا لذلك زيتها حتى ليكاد يضيء ولو لم تمسسه نار. ألا ترى أن هذا المصباح جدير أن يبدد ظلمة الليل، ومثله جدير أن يبدد ظلام الشك، ويمزق دجى الكفر والنفاق. وقد ظهر بما ذكرناه جمال هذا التشبيه ودقته وبراعته.(27)

وهذا النمط من التشبيه يُنصُّ فيه على وجه الشبه صراحةً، بحيث يتحدد موضع الالتقاء بين الطرفين تحديداً دقيقاً ومن ثَمَّ، يخبُو "التوهج الدلالي" في هذا الضرب من التشبيه؛ لأن إثبات وجه الشبه يقيدُ المشابهة ويحبسُها في إطار هذا الوجه المستنبط، مانعاً الذهن من الاسترسال في احتمالات أخرى .(28) إذ جاء التشبيه مفصلاً عبر تقييد وجه الشبه بـ (التمثيل والتقابل)، وهو نتاج تفاعل ألفاظ المشبه والمشبه به بوجود الأداة. قال تعالى: { قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(النمل :44). إذ وقع التشبيه هنا بين (لمعان الصرح) و(لجة الماء)، ففي مرويات التفسير أنَّ بلقيس لما أبصرت الصرح -وهو صحن القصر- توهمت أنَّ ابن داوود (عليه السلام) أراد بها غرقاً، فأنِفت الجُبن وتقدمت حاسرةً عن ساقيها لئلا

تبتل أذيالها [29]. إنَّ وجه الشبه في هذه الآية انبثق من وشيجة العلاقة بين المشبه والمشبه به، متجلياً عبر "التضافر الدلالي" للكلمات داخل الحقل المعجمي؛ إذ إنَّ تراكم العناصر الدلالية يولد علاقات تبادلية تربط طرفي التشبيه برباطٍ وثيق يُظهر وجه الشبه جلياً. وحيث إنَّ لكل تشكيل لغوي غايةً تتحقق بوسيلة، فإن العلاقة الرابطة بين طرفي التشبيه هنا كانت الوسيلة لإبراز المعنى (وجه الشبه)، مما أدى إلى تقنين الدلالة ومنعها من الانفلات أو الاتساع. حتى تصبح الصورة دقيقة واضحة أخاذة، وخذ مثلا لذلك قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الجمعة: 5).

فقد يتراءى أنه يكفى في التشبيه أن يقال: مثلهم كمثل الحمار الذى لا يعقل، ولكن الصورة تزداد قوة والتصاقا والتحاما، حين يقرن بين هؤلاء وقد حملوا التوراة، فلم ينتفعوا بما فيها، وبين الحمار يحمل أسفار العلم ولا يدرى مما ضمته شيئا، فتمام الصورتين يأتى من هذا القيد الذى جعل الصلة بينهما قوية وثيقة .[30]

وعليه إن ازدواج العلاقة التشبيهية يأتي محكوماً بمقتضى الحال؛ فلكل كلمة مع قرينتها مقام، ولكل سياقٍ غاية ينتهي إليها، ورفعة الكلام أو انحطاطه رهينةٌ بمطابقته للمقام ضعفاً وقوةً[31]

وعليه يتضح أنَّ النسق التركيبي للتشبيه المفصل هو المرتكز الأساسي لصناعة الدلالة وتوجيهها نحو القصد المطلوب.

المطلب الثاني: التشبيه المجمل ودلالة الإطلاق

يُعدُّ التشبيه المجمل من الأنماط البيانية التي تحتل مكانةً متميزة في الدرس البلاغي؛ وهو ما حُذف منه "وجه الشبه" [32]،إذ يتجلى الأثر الدلالي في هذا النوع من التشبيه من إنه يفتح "أفق التوقع" ويجعل الصورة أكثر عمقاً وتأثيراً في النفس لاتساع دائرة المشابهة وهذا ألطف وأبلغ؛ والسر في ذلك لأنه يطلق عنان الذهن إلى العمل والبحث في وجوه شتى من المشابهة [33]، فعندما تقول "زيدٌ بحرٌ" كلمة "بحر" توحي بالعطاء، والاتساع، والعمق، والهيبة . بسبب حذف "وجه الشبه"، أصبحت كل هذه المعاني حاضرة في ذهن السامع، ولو حددت وقلت "بحر في عطائه" لكنت قد قيدت المعنى (فصّلته)، وبذلك يخرج من كونه مجملاً إلى كونه مفصلاً[34]

ينقسم بالنظر إلى جلاء معناه وخفائه إلى قسمين:

الأول: ظاهرٌ جليّ؛ يدركه المتلقي ببديهة النظر دون عناء، كتشبيه الأشياء المستديرة بالكرة.

والثاني: خفيٌّ بعيد؛ لا يُدرك مقصوده إلا بالتأمل والتدبر، كقول كعب بن معدان الأشهري في وصف بني المهلب: «هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها»؛ إذ يحتاج هذا النمط إلى فكرٍ ثاقب يتجاوز الإدراك السطحي ليدخل في عداد الفهم الخاص.[35]

حذف وجه الشبه يرفع رتبة التشبيه دلالياً؛ لأنه يترك للمتلقي استحضار كافة الصفات الممكنة للمشبه به[36]

وإضًا تتجلى بلاغة الإجمال في النظم القرآني في مواضع عدة، منها قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى}(طه : 127). فالمعنى يشير إلى أنَّ من أسرف على نفسه بالمعاصي وترك الواجبات، ولم يصدق بآيات الله وحججه، فإنَّ مآله إلى عذابٍ سرمدي لا يفنى، بل هو "أشد وأبقى" لدوامه واستمراره [37]، إذ يلحظ في هذه الآية الكريمة، ورد التشبيه مجملاً بحذف وجه الشبه، وهو الوصف الخاص الذي قُصد اشتراك الطرفين فيه.[38]

يلحظ من أن التشبيه المجمل هنا يكتنز قوة دلالية نابعة من "الحذف"؛ إذ يؤدي غياب وجه الشبه إلى فتح آفاق التخيل والتأويل، مما يتيح للدارسين تشعيب الآراء في تحديد وجه الشبه الجامع تدوّراً مع اختلاف تفسيراتهم ورؤاهم لهذا النوع.

وإيضًا ومن شواهد هذا الضرب في قوله تعالى: {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} (هود: 95)، كأنهم لم يقيموا في ديارهم أحياءً متصرفين' ثم أوضح سبحانه بُعدهم عن رحمة الله كما بَعُدت ثمود، أي: هلاكاً أصابهم نظير ما أصاب ثمود من قبلهم [39]، إذ شُبّه حالهم بحال ثمود بجامع الهلاك بـ "الصيحة" في الطرفين[40]

إذ ورد التشبيه في هذه الآية مجملاً، حيث لم يُصرح بوجه الشبه، بل تُرِك ليُفهم من سياق النظم؛ إذ لا يتحقق التشبيه لغةً واصطلاحاً إلا بوجود "صفة" تربط بين الطرفين، وهي ما اصطلح عليه ابن رشيق (ت 463هـ) بقوله:))التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع الجهات، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه .[41]((

بناءً إلى ذلك: يحدث انتقال في دلالة الألفاظ من معناها التواضعي المحدود إلى معانٍ أكثر جمالية، تتكاثر فيها المدلولات بحسب سياق التركيب الجملي الجديد.

وفي قوله تعالى: {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ} (المؤمنون: 81) ؛ أي: رددوا مثل قول الكفار الأولين في إنكار البعث والنشور والحساب؛ فالتشبيه وقع هنا بين القولين، حيث تماثلت أقوال المتأخرين مع أقوال المتقدمين في جحود يوم القيامة[42]

. وهنا أيضاً حُذف وجه الشبه، ليُستدل عليه من خلال المقارنة الإيحائية، مما يحقق مستوى دلالياً رفيعاً في إيصال المعنى، سواء بأسلوب مباشر أو غير مباشر.

ومما سبق، يتضح أنَّ التشبيه المجمل يمتلك أسبقية بلاغية في الحيز الدلالي؛ كون حذف "وجه الشبه" يفسح المجال للصفة الجامعة للولوج إلى مرحلة "معنى المعنى"

هو أن تعقِلَ من اللفظِ معنًى ثم يُفْضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنًى آخرَ أنّهم يضعون كلاماً قد يفخِّمونَ به أمرَ اللفظِ ويجعلونَ المعنى أعطاكَ المتكلمُ أغراضَه فيه من طريقِ معنى المعنى فكنَّى وعرَّضَ ومثَّل واستعارَ ثم أحسنَ في ذلك كلِّه وأصابَ ووضعَ كلَّ شيء مه في موضعِه وأصابَ به شاكلتَه وعمدَ فيما كنَّى به وشبَّه ومثَّل لما حَسُنَ مأخذُه ودقَّ مسلكُه ولَطُفَتْ إشارتُه[43] ، يمثل هذا المستوى الفني الذي يُعد التشبيه ركيزة أساسية في إبرازه؛ فإذا كان "علم المعاني" يتشكل من مرحلة المعنى، فإن "علم البيان" ينبثق من مرحلة "معنى المعنى" .[44]

المبحث الثالث: ذروة التراتبية (التشبيه البليغ) والاتساع الدلالي.

إذا كانت تراتبية الصور البيانية تتصاعد في سلم الجمال والقوة، فإننا نصل في هذا المبحث إلى "الذروة" التي تتوارى فيها الأدوات، وتتلاشى فيها الفواصل؛ حيث يتربع التشبيه البليغ على عرش الإيجاز، محققاً أقصى درجات الالتحام بين طرفي الصورة.

المطلب الأول: فلسفة "الهوية" في التشبيه البليغ والاتساع الدلالي

إن هذا النوع من التشبيه لا يقف عند حدود المشابهة الظاهرية، بل يجاوزها نحو "وحدة الكينونة"؛ إذ بحذف الأداة ووجه الشبه، يتحرر المعنى من قيود "التقييد" إلى فضاء "الإطلاق". ومن هنا ينبثق الاتساع الدلالي؛ فالمتلقي أمام التشبيه البليغ لا يجد مساراً أحادياً لوجه الشبه، بل يجد نفسه أمام أفقٍ مفتوح من التأويلات. ويرى أئمة البلاغة أن هذا الحذف هو الذي يرفع من شأن الصورة؛ "لأنك إذا حذفت الأداة والوجه، جعلت المشبه هو المشبه به نفسه، وأوجبت له صفته من غير واسطة، وهذا هو أصل المبالغة والاتساع" .[45]

فكلما غابت التفاصيل اللفظية، اتسعت الرؤية الذهنية، واستحالت الصورة من مجرد "تمثيل" إلى "هوية" تامة، يغدو فيها المشبه هو المشبه به ذاتاً وصفة، ومن هنا تبرز طاقة تعبيرية تتجاوز منطوق

اللفظ، إذ يتحول التشبيه إلى "ادعاء" كلي يُلحق الناقص بالكامل، حتى يتصورا شيئاً واحداً [46]، يلحظ من ذلك إلى إن التشبيه البليغ هو عملياً "توحيد لهويتين متباينتين عن طريق الإلحاح على نقطة الالتقاء بينهما وإبطال مسافة التباين" .[47]

في ضوء ذلك تباينت أنظار البلاغيين في وسم هذا النوع بـ "البلاغة"؛ فبينما ذهب المتأخرون إلى تسميته بالتشبيه "المؤكد" لقوة دلالته على الحلول والاتحاد، ورأى فريق آخر أن وصفه بالبلاغة يعود إلى "غرابة" وجه الشبه وطرافته، بغض النظر عن ذكر الأداة من عدمها [48]. وفي هذا السياق، عدّ القزويني "التشبيه البعيد" من التشبيه البليغ؛ لِما فيه من لذة الاستنباط بعد كدّ الذهن، وهو خفاءٌ محمودٌ لا يمت بصلة إلى "التعقيد" اللفظي الناتج عن سوء الترتيب [49]

نخلص، إلى إن حذف الأداة يوحي بتساوي الطرفين، وحذف الوجه يوهم بالتشابه في أغلب الصفات، مما يفتح باب التأويل ويكسب الصورة روعة وتأثيراً [50] ، ولا يعني وصف هذا النوع بالبليغ نفي البلاغة عن سواه، فإثبات صفة لشيء لا ينفيها عما عداه.

المطلب الثاني: تطبيقات وتحليلات.

بعد أن استوفينا في المطلب الأول الجانب النظري لمفهوم التشبيه البليغ، ننتقل الآن إلى الثمرة المرجوة من هذا المطلب، وهي الجانب التطبيقي.

إذ القيمة الحقيقية للبلاغة لا تكتمل بضبط القواعد فحسب، بل في القدرة على استنطاقها داخل السياقات القرآنية أو الأدبية، إذ يرتكز هذا المطلب على تحليل نماذج مختارة، نسعى من خلالها إلى رصد "سر البلاغة" الكامن في حذف الأداة والوجه، وكيف تحول هذا الاختصار اللغوي إلى سعة دلالية جعلت من المشبه والمشبه به كياناً واحداً في عين المتلقي.

قال تعالى: التشبيه البليغ في قوله تعالى: {وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} (إبراهيم: 43)، الموضع البلاغي اعتمد النص القرآني على صورة من أوجز صور التشبيه البليغ، وهي صورة (المبتدأ والخبر)، والتقدير: "أفئدتهم كالهواء" إذ يكمن وجه الشبه في "الخلو" و"الفراغ"؛ فالهواء مادة لا جرم لها ولا استقرار، وكذلك قلوب الظالمين يوم القيامة، فارغة من كل رأي أو إدراك أو طمأنينة نتيجة شدة الهول والفزع.

تظهر القيمة الجمالية إن الانتقال من "التشبيه المرسل" (أفئدتهم كالهواء) إلى "البليغ" (أفئدتهم هواء) جعل القلب عين الخواء، فلم يعد التشبيه لمجرد المشابهة، بل صار القلب ذاته هواءً متلاشياً، مما يجسد ضياع الرشد والوعي في ذلك المشهد الرهيب.(51)

نلحظ صورة أخرى من التشبيه البليغ في صورة "اسم إنّ وخبرها" في الآية الكريمة: قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]. جاءت الآية الكريمة بصيغة القصر بـ (إنما)، حيث أُجريت "الأخوة" على "المؤمنين" من باب التشبيه البليغ الذي حذفت فيه الأداة ووجه الشبه؛ وشُبّه المؤمنون بالإخوة لجامع الاشتراك في أصل واحد، وهو (الإيمان)؛ فكما أن الأخوة النسبية تنشأ عن أصل توالدي يضمن بقاء النسل، فإن الأخوة الإيمانية منشأ للحياة الأبدية والخلود في الجنان، تظهر القيمة الجمالية بحذقة الأداة (كأنهم) للمبالغة في جعل الأخوة الإيمانية مطابقة في قوتها وتأثيرها للأخوة النسبية، بل ومتجاوزة لها في ترسيخ الرابطة الوجدانية (52)، جاء التشبيه متبوعاً بالفاء في قوله :{ فَأَصْلَحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ }[الحجرات :10] (فأصلحوا)، وهي فاء "التعليل" أو "الإيذان"؛ لتؤكد أن هذه الأخوة ليست مجرد وصف جمالي، بل هي علة موجبة للصلح والتلاحم. كما أن التعبير بـ (أخويكم) بالتثنية جاء لتأكيد وجوب الإصلاح في أقل القليل، وما زاد فهو من باب الأولى.(53)

ونرقب صورة أخرى للتشبيه البليغ في صورة "الحال" في الآية الكريمة من قوله تعالى: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النمل: 88].

تمثل التشبيه البليغ في قوله تعالى: (تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ)، جاء هنا في صورة "المفعول المطلق المبين للنوع"، وهو أحد أرقى مسالك التشبيه البليغ التي تُحذف فيها الأداة ووجه الشبه، إذ شُبهت الجبال في حركتها يوم القيامة بالسحاب؛ والجامع بينهما هو (السرعة مع الهدوء والانسيابية)، فالسحاب يتحرك بكتل ضخمة بانتظام وهدوء رغم سرعته، وكذلك الجبال على ضخامتها وصلابتها، تسير في ذلك المشهد سيراً حثيثاً لا اضطراب فيه ؛ فحذف الأداة هنا (كأنها تمر) نقل الصورة من مجرد "المشابهة" إلى "المطابقة"؛ لبيان أن هول المشهد جعل الجبال الرواسي تفقد طبيعتها الصلبة المستقرة، فتصاغرت وتلاشت حتى صارت في خفتها وانقيادها كالسحاب؛ نلحظ اللطيفة التفسيرية في قوله :{تَحْسَبُهَا جَامِدَةً} إشارة إلى بلاغة التشبيه؛ إذ إن العين لضخامة الجبل وبُعد المدى تظنه ساكناً وهو في حقيقته يسير، تماماً كما يبدو السحاب العظيم للمشاهد من بعيد كأنه ثابت وهو يمر سريعاً .(54)

ومن صور التشبه البليغ في تصوير أثر الشيب (حميد بن ثور)

أَصبَحَ مَتنى الشَبابِ مُبتَكِراً ... إن يَنأَ عَنّي فَقَد ثَوى عَصرا

أَصبَحتُ لا أَملِكُ السِلاحَ وَلا ... أَملِكُ رَأسَ البَعيرِ إن نَفَرا(55)

موضع التشبيه: (مَتنى الشَبابِ) وهو موضع التشبيه البليغ جاء في صورة "إضافة المشبه به إلى المشبه"؛ حيث أضاف (المتن) وهو الظهر، إلى (الشباب) ، إذ شَبّه الشاعر "الشباب" في قوته وصلابته بـ "المتن" القوي الذي يُعتمد عليه في التحمل والركوب. وحذف الأداة ووجه الشبه للمبالغة في قوة هذه المرحلة، فكأن الشباب لم يكن مجرد فترة زمنية، بل كان "سنداً وكياناً ملموساً" يحمله الشاعر، وقد ارتحل عنه (ابتكر) بعد أن أقام لديه دهراً ؛ تبدوا القمة الجمالية هنا : في المقابلة بين حالتين؛ حالة الشباب الذي كان فيه الشاعر قوياً كأنه يمتلك "متناً" من حديد، وحالته الآن التي صورها في الأبيات التالية (عدم القدرة على ملك السلاح أو كبح البعير)[56]

الحذف هنا حوّل "الشباب" من معنى مجرد إلى "جرم مادي" ملموس، وهو أعلى درجات التجسيد في البلاغة.[57]

ونرقب تحليل أخر في التشبيه البليغ في صورة "المبتدأ والخبر" للشاعر النابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر، يقول:

بأَنك شمس والملوكُ كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يبد منهنّ كوكب[58]

(فَإِنَّكَ شَمْسٌ)، (المُلُوكُ كَوَاكِبٌ) وهو موضع التشبيه ، إذ استخدم الشاعر التشبيه البليغ في صورتين متقابلتين؛ حيث شَبّه الممدوح بالشمس، وشبه الملوك بالكواكب. وحذف الأداة ووجه الشبه (في الرفعة والضياء) للمبالغة في حصر السيادة فيه. فكأن الممدوح ليس "مثل" الشمس، بل هو "الشمس" ذاتها التي يطغى نورها على ما سواها .[59]

ختام هذا الاستعراض التطبيقي، يتضح للبحث أنَّ التشبيه البليغ ليس مجرد اختزالٍ لغويٍ بحذف الأداة ووجه الشبه، بل هو استراتيجية بيانية تهدف إلى صهر المسافة بين "الذات" و"الموضوع"، وبين "المشبه" و"المشبه به"؛ حتى يستحيل الاثنان في وعي المتلقي كياناً واحداً.

لقد كشفت النماذج المستقاة من القرآن الكريم عن قدرة هذا الفن على نقل المعاني الغيبية والمشاهد الرهيبة إلى صورٍ محسوسة تلامس الوجدان، كما برهنت الشواهد الشعرية على مرونة هذا اللون البياني في تجسيد المشاعر الإنسانية ورسم اللوحات الفنية بكثافة دلالية لا تتحقق في غيره من فنون التشبيه.

وعليه نخلص إلى إنَّ بلاغة هذا النوع تكمن في "الإيجاز الموحي"، الذي يترك للمخيلة فسحةً لاستنباط وجه الشبه، مما يجعل المتلقي شريكاً في صناعة الجمال، ويؤكد أنَّ التشبيه البليغ هو الأوجُ الذي تلتقي عنده طاقة اللغة بعظمة المعنى.

الهوامش.

1) ينظر: ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ،ص 13.

2) ينظر: الصعيدي، عبد المتعال ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، ج3، ص 396-398.

3) ينظر: حبَنَّكَة عبد الرحمن حسن ، لبلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها) ، ج2 ، ص 166-167.

4) الصناعتين، أبو هلال العسكري (ت: 395هـ)، ص 243.

5) ينظر: البلاغة العربية ، ج3، ص 167.

6) ينظر: تمام ، حسان، اللغة العربية: معناها ومبناه ، ص 240.

7) نظر: د. هادي حسن، أساليب البيان العربي في السور المئين، ص 108.

8) ينظر: د. جابر عصفور، المرايا المتجاورة: دراسة في نقد طه حسين، ص4 .

9) ينظر: د. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 138 .

10) ينظر: البلاغة العربية، ج3، ص 167. أساليب البيان العربي في السور المئين، ص 111

1) ينظر: أحمد إبراهيم مصطفى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ـ ، ص 238.

2) ينظر: العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، ص 162

3) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج3 ، ص450.

4) ينظر: الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 114-115.

5) ينظر: المصدر السابق، ص 118 - 120

6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص 258.

7) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص238.

8) النويريّ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج7 ،ص 43.

9) ينظر: أساليب البيان العربي في السور المئين، ص 114-115.

10) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2 ، ص 257-258.

11) ينظر: عونى ، حامد ، المنهاج الواضح للبلاغة ، ج3،ص168.

12) ينظر: المصدر السابق، ج1، ص77.

13) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج2، ص719.

14) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج3، ص 528.

15) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 224 - 225.

16) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص330.

17) ينظر: البدوي، من بلاغة القرآن، ص 151. أساليب البيان العربي في السور المئين، ص 117.

18) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج3، ص 435.

19) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص 275.

20) ينظر: من بلاغة القرآن، ص154.

21) ينظر: مفتاح العلوم، ص 256.

22) عتيق، علم البيان، ص 91.

23) ينظر: الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 414.

24) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 182.

25) ينظر: المراغي، علوم البلاغة، ص 228. أساليب البيان العربي في السور المئين، ص 119.

26) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج3، ص 432-433.

27) ينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج7، ص217.

28) ينظر: علوم البلاغة، ص 233.

29) ينظر: القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ج6، ص 238.

30) ينظر: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج3، ص 8.

31) ينظر: القيرواني،، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص 286.

32) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، ج7، ص 429.

33) ينظر: دلائل الإعجاز، ص 204.

34) ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 429.

35) ينظر: أسرار البلاغة، ص 224 - 225.

36) الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 238.

37) ينظر: خاله سعيد ، حركة الإبداع: دراسات في الأدب العربي الحديث ، ص 171.

38) ينظر: السيد، شفيع ، التعبير البياني: رؤية بلاغية نقدية، ص 22 .

39) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 184.

40) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص 180.

41) ينظر: الآلوسي ، روح المعاني ، ج13، ص 160و- ج7، ص 249 .

42) ينظر: الطهراني، علي الحائري، تفسير مقتنيات الدرر، ج1، ص 197.

43) ينظر: المصدر السابق، ج1، ص197.

44) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج3، ص 389.

45) ينظر: المبرد، الكامل، ج1، ص 186. والأصفهاني أبو الفرج، كتاب الأغاني، ج4، ص 362.

46) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج4، ص 28.

47) ينظر: الكامل، ج1، ص 186. وينظر أيضاً: الأغاني، ج4، ص 362.

48) الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، (18ق-ه)، ص 54.

49) ينظر: العسكري ، المصون في الأدب ، ص 154.

الخاتمة:

بعد سياحةٍ فكرية وقراءةٍ متأنية في تراتبية الصور التشبيهية، نصل بحمد الله وتوفيقه إلى محطة الختام في هذا البحث، إذ كانت رحلةً حاولنا فيها استنطاق أسرار "التشبيه" من خلال مستوياته المختلفة، بدءاً من صوره التفصيلية وصولاً إلى ذروته في التشبيه البليغ، مستضيئين بآيات الذكر الحكيم وعيون الشعر العربي، لنكشف عن عبقرية هذا الفن في صياغة المعنى وتشكيل الرؤية.

إذ خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، نُجملها في الآتي.

1. أثبت البحث أن مراتب التشبيه (المجمل، المؤكد، البليغ...) ليست مجرد تقسيمات شكلية، بل هي "بنى دلالية" تمنح المتكلم قدرة على التحكم في كثافة الرسالة البيانية وقوة تأثيرها.

2. خلص البحث إلى وجود علاقة طردية بين "اقتصاد اللفظ" و"ثراء المعنى"؛ فكلما مالت الصورة نحو الحذف، زادت كثافتها الدلالية واتسعت رقعة التأويل لدى المتلقي، مما يمنح النص طاقة استباقية في الذهن تفوق منطوق الألفاظ الصريحة.

3. تبيّن أن التراتبية في أنواع التشبيه ليست "تفاضلية مطلقة"، بل هي "سياقية" بامتياز؛ إذ تتحكم سلطة المقام في اختيار الرتبة المناسبة، فبينما يتطلب مقام الإيضاح التعليمي رتبة "المرسل المفصل"، يقتضي مقام المبالغة الوجدانية (كالمديح أو الغزل) رتبة "البليغ".

4. كشف البحث أن الأثر الدلالي للمراتب التشبيهية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنفسية المتكلم وقوة ادعائه للمشابهة؛ فكلما ارتفعت المرتبة باتجاه البليغ، عكس ذلك رغبة المتحدث في صهر الفوارق بين المشبه والمشبه به وتوحيد هويتهما.

5. تبين أن مراتب التشبيه (العليا) تمثل الغاية القصوى التي ينشدها المبدعون؛ لقدرتهما الفائقة على تكثيف المعاني في أقل حيز لفظي ممكن، مما يجعل الأثر الدلالي حركياً ومتجدداً بتجدد القراءات، إذ يجعلهما الأكثر ثراءً وجذباً في المتلقي .

قائمة المصادر

1. القرآن الكريم.

2. الأصبهاني، أبو الفرج، 1995، الأغاني، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

3. الألوسي، شهاب الدين محمود، 1996، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

4. البدوي، أحمد عبد الله البيلي، 2005، من بلاغة القرآن، ط1، القاهرة، نهضة مصر.

5. تمام، حسان، 2003، اللغة العربية: معناها ومبناه، ط2، القاهرة، عالم الكتب.

6. التونسي، الطاهر بن عاشور، 1984، التحرير والتنوير، ط1، تونس، الدار التونسية للنشر.

7. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، 1991، أسرار البلاغة، ط1، القاهرة، المطبعة المدني

8. الجرجاني، عبد القاهر، 1995، دلائل الإعجاز، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.

9. حامد عوني، 2000، المنهاج الواضح للبلاغة، ط1، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث.

10. د. احمد، مطلوب، 1983، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط1، بغداد، المجمع العلمي العراقي.

11. د. جابر، عصفور، 1995، المرايا المتجاورة: دراسة في نقد طه حسين، ط2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

12. د. عباس، إحسان، 1983، تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، ط4، بيروت، الناشر دار الثقافة.

13. د. منصور، هادي حسن محمد، 2009، أساليب البيان العربي في السور المئين، جامعة، النجف الأشرف.

14. الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حنبكه ، 1996، البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها)، ط1، دمشق ، دار القلم للنشر .

15. الذبياني، النابغة زياد بن معاوية، 1990، ديوان النابغة الذبياني، ط2، القاهرة، دار المعارف.

16. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو، 1987، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي.

17. سعيد، خالده، 1983، حركة الإبداع: دراسات في الأدب العربي الحديث، ط1، بيروت، دار العودة.

18. السيد، شفيع، 1993 التعبير البياني: رؤية بلاغية نقدية، شفيع السيد، ط1، بيروت، دار الفكر العربي.

19. السيوطي، جلال الدين، 1974، الإتقان في علوم القرآن، ط4، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

20. الصعيدي، عبد المتعال، 2005، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط17، القاهرة، مكتبة الآداب للنشر.

21. الطهراني، على الحائري،1992، تفسير مقتنيات الدرر، ط1، طهران، الحيدري للنشر.

22. الطوسي، جعفر بن محمد بن الحسن، 1992، التبيان في تفسير القرآن، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

23. عتيق، عبد العزيز، 1982، علم البيان، ط1، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة.

24. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، 1999، الصناعتين، ط2، بيروت، المكتبة العصرية.

25. العسكري، الحسن بن عبد الله إسماعيل ،1984، المصون في الأدب، ط2، الكويت، مطبعة حكومة الكويت.

26. العلويّ، يحيى بن حمزة، 2002 الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط1، بيروت، المكتبة العصرية.

27. القزويني ، الخطيب ، 1993، الإيضاح في علوم البلاغة، بيروت ، دار الجيل .

28. القِنَّوجي ، محمد صديق خان، 1992 ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ط1، بيروت ، المَكتبة العصريَّة .

29. القيرواني، أبن رشيق، 1981، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط5، بيروت، دار الجيل.

30. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، 1997، الكامل في اللغة والأدب، ط3، القاهرة، دار الفكر العربي.

31. المراغي، أحمد مصطفى، 1998، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.

32. النويريّ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، 1998، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1 القاهرة، الناشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية.

33. الهاشمي، أحمد إبراهيم، 1998، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1، بيروت، المكتبة العصرية.